

## التوجهات النظرية لآثاري القرن التاسع عشر ميلادي والمدارس الفكرية في الآثار خلال النصف الأول من القرن الميلادي الماضي (1)

اهتم الناس منذ القديم بتاريخ الانسان وعصوره القديمة. ومنذ العصور الوسطى في اوربا تم تشكيل مفاهيم رئيسية أثرت الى حد ما في التفسيرات النظرية خلال القرن التاسع عشر:

كان معظم الناس من ذوي الاطلاع الواسع يعتقدون بأن الكون وما عليه خلق قبل حوالي بضعة آلاف من السنين ( في العام 4004 قبل الميلاد ) بحسب ما جاء في التوراة

وأن لا وجود لفترات تاريخية قبل تاريخ ظهور الكتابة

وأن قصص الخلق والأحداث التي ترويها مؤلفات المؤرخين الأوائل هي كل ما يجب معرفته عن العالم القديم ، خصوصا تلك التي وردت من منطقة الشرق القديم ومصر وبلاد الإغريق

وكان ينظر لتاريخ علم الآثار على أنه تاريخ الاكتشافات العظيمة: مثل اكتشاف قبر "توت عنخ أمون" في مصر ، واكتشاف بقايا أقدم أنواع الجنس البشري في "أولدوفاي" في تنزانيا ، واكتشاف مدن "المايا" المفقودة في المكسيك ، واكتشاف الرسوم الملونة في كهوف العصور الحجرية مثل ، كهف "لاسكوس" في فرنسا ، واكتشاف مدينة "أور" في العراق ... الخ

استمر هذا الاعتقاد في العقود الأولى من القرن العشرين

## عصر النهضة

فترة الانتقال من العصور  
الوسطى إلى العصور  
الحديثة وهي القرون 14 -

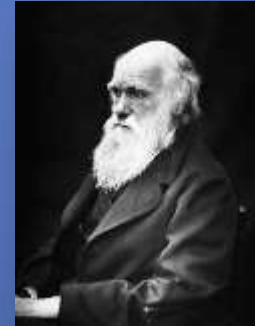
16

- حفز مجيء عصر النهضة الاهتمام بالماضي ولكنه كان مركزاً على جمع التحف والنظريات الرومانسية عن مصدرها

مع ذلك كان معظم الآثارين ولعدة سنوات مقتنعين تماماً بل مكتفين بالإجابة علي أسئلة أسهل وأكثر بساطة ويتجاهلون الأسئلة الصعبة أو يطرحونها جانباً بتفسير بسيطة.

وظهرت في تلك الفترة فكرة التطور التي وصفها شارلس داروين في كتابه اصل الأشياء 1859م والذي قدم تفسيراً كان مقبولاً في ذلك الوقت لاصل وتطور الإنسانية والتي كان لها تأثير علي علماء الآثار في تلك الفترة وساعدت علي وضع الأساس لدراسة تطور الأدوات (Typology) (وضع الأدوات في أنواع تتقاسم نفس خصائص المادة، الشكل، والزخرفة)

## بداية القرن التاسع عشر



كان لنظريات النشوء دورا بارزا في تطور التفكير الأثري . في البداية ارتبطت النظرية باسم " داروين" الذي فسر بشكل فعال مسألة أصول وتطور الأجناس النباتية والحيوانية في كتابه الذي صدر عام 1859 بعنوان "حول أصل الأجناس" . وتحدث نظرية داروين عن وجود تنوع داخل الأجناس ، كل جنس يختلف عن الآخر ؛ وأن انتقال الصفات الفيزيائية يكون بالوراثة ؛ وأن الاختيار الطبيعي هو الذي يحدد بقاء المرء أو الشيء.

## نظرية التطور

وكان لأراء داروين تأثير مباشر على الأثريين أمثال بت ريفرز وجون ايفانز الذين وضعوا أسس دراسة وتصنيف الأدوات . وكان تأثير نظريات أصول الأجناس أكبر عند المفكرين الاجتماعيين والانثربولوجيين أمثال (كارل ماركس) الذي أيضا تأثر بأفكار الانثربولوجي (مورجان). وفي بداية النصف الثاني من القرن العشرين نجد في كتابات الانثربولوجيين ( Leslie White ) و ( Julian Steward ) رفض لنظرية الاصطفاء التاريخي ، طالبين التعميم للحصول على تفسيرات للتغير بعيد المدى

## المدارس الفكرية في الآثار خلال النصف الأول من القرن الميلادي الماضي

(2)

### نموذج: التاريخ الثقافي او تاريخ الثقافة (cultural, or culture history)

جاء بعد داروين مفهوم التاريخ الثقافي، أو تاريخ الثقافة، وهي فكرة تقوم بجمع المواقع في "ثقافات" مميزة، لتحديد مدى الانتشار الجغرافي لهذه الثقافات، وإعادة بناء التفاعلات وتدفق الأفكار بينها. ومصطلح التاريخ الثقافي، كما يوحي اسمه، له علاقة وثيقة بعلم التاريخ. فالمؤرخون يعملون بما يسمى بالنموذج المعياري للثقافة، على مبدأ أن كل ثقافة هي مجموعة من القواعد التي تحكم السلوك البشري. وهكذا، يمكن التمييز بين الثقافات من خلال أنماط من الحرف، على سبيل المثال، إذا تم اكتشاف قطعة فخار مزخرفة بخطوط مموجة، وأخرى بمثلثات، فمن المرجح أنهم ينتمون إلى ثقافات مختلفة.



مثل هذا النهج يؤدي بطبيعة الحال إلى وجهة نظر في الماضي باعتباره مجموعة من السكان المختلفين، مصنفي حسب اختلافاتهم وتأثيرهم على بعضهم البعض. ويمكن تفسير التغيرات في السلوك بانتشار (diffusion) أو انتقال الأفكار الجديدة من خلال العلاقات الاجتماعية والاقتصادية من ثقافة إلى أخرى.

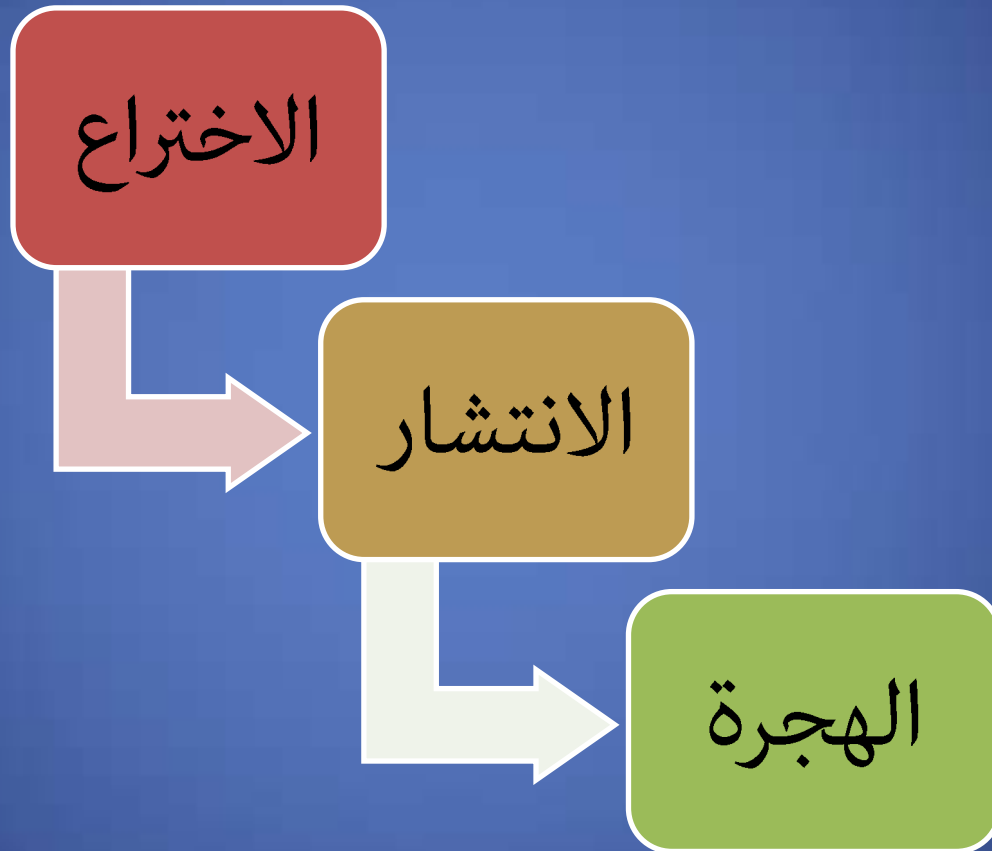
# 1

## الثقافات التاريخية المتميزة:

كانت البدايات الأولى تعتمد على تفسير عملية التغير الثقافي لأحد ثلاثة أسباب: اما ان التغير حدث بسبب **اختراع** جديد في داخل الثقافة او بسبب **انتشار الأفكار** من مجموعة لأخرى بسبب التجارة او بسبب **الهجرة**، ونعني بها هجرة الأفراد او المجموعات. وكانت النقطة الأساسية لفكرة التاريخ الثقافي هو الاعتقاد بأنه يمكن تقسيم الجنس البشري إلى "ثقافات" مختلفة كانت في كثير من الحالات مختلفة عن بعضها البعض. عادة كان ينظر إلى كل من هذه الثقافات على انها تمثل اجناس عرقية المختلفة. ومن وجهة النظر الأثرية، كان يعتقد أنه يمكن تمييز كل من هذه الثقافات بسبب الثقافة المادية لها، مثل نمط الفخار الذي تنتجه او أشكال الدفن الذي مارسته.

## مفاهيم نظرية تاريخ الثقافة

## اسباب التغير الثقافي



## 2

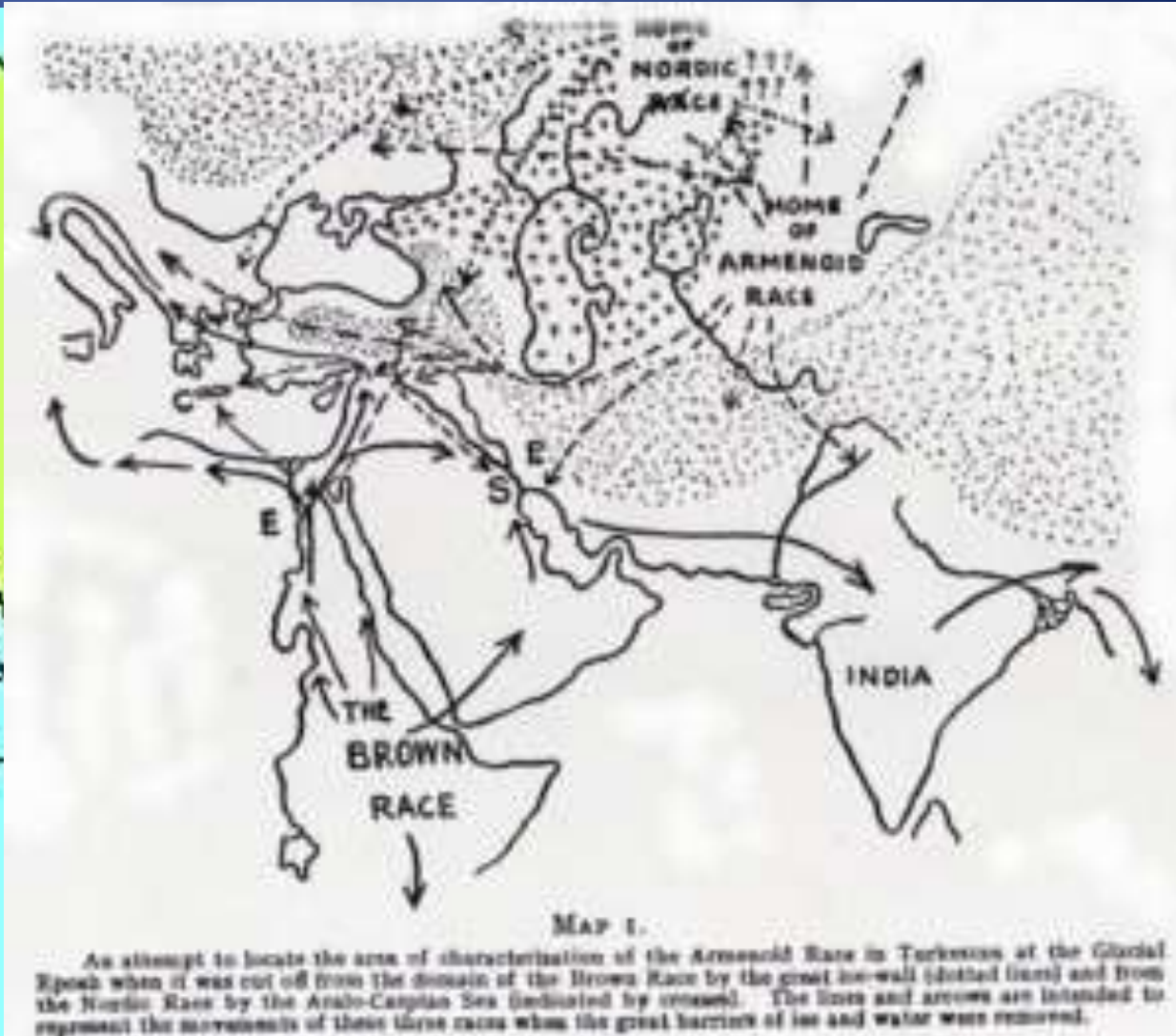
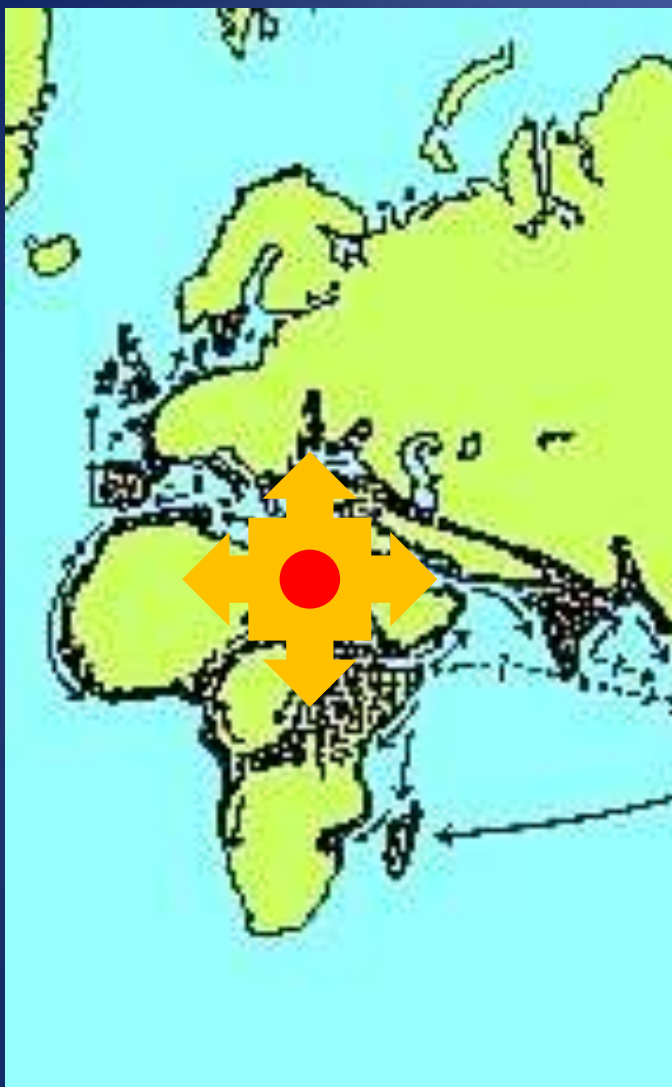
### الانتشار والهجرة (Diffusion and migration):

تم تفسير التغيرات في ثقافة المجتمع **بانتشار الأفكار** من ثقافة إلى أخرى، أو عن طريق **الهجرة** من أفراد مجتمع واحد إلى منطقة جديدة، وأحياناً عن طريق **الغزو**. وكان هذا مناقضاً لفكر النظرية التطورية التي بالرغم من أنها تقبل أفكار الانتشار والهجرة كأسباب للتغير الثقافي، فإنها كانت تقبل أيضاً مفهوم التطور الثقافي المستقل الذي يمكن أن يحدث داخل المجتمع، وهو من الأمور التي لم يكن يقبلها علماء نظرية تاريخ الثقافة.

طرح عدد من علماء آثار التاريخ الثقافي فكرة أن كل المعارف والتكنولوجيا في العالم القديم قد انتشرت من مصدر واحد في الشرق الأوسط، والذي من ثم انتشر في معظم أنحاء العالم من خلال التجارة. على سبيل المثال طرح النمساوي جرافتون إليوت سميث (Grafton Elliot Smith) في نمو الحضارة (1924) (Growth of Civilisation)، **فكرة أن الزراعة والعمارة والدين والدولة قد نشأت كلها في مصر القديمة، حيث كانت الظروف مثالية لتطور مثل هذه الأفكار، وأنها انتشرت بعد ذلك إلى الثقافات الأخرى.** اقترح لورد راغلان (Lord Raglan) في عام 1939، نظرية مماثلة لكنه كان يعتقد أن المصدر كان **بلاد ما بين النهرين** وليس مصر.

### مفاهيم نظرية تاريخ الثقافة





### 3

## الاستدلال الاستقرائي (Inductive reasoning):

استخدمت نظرية تاريخ الثقافة منهج الاستدلال الاستقرائي وهو منهج يعتمد على جمع المعلومات التي تستخدم لتوليد الفرضية. بمعنى آخر ان الاستقراء طريقة في كسب المعلومات أو المعطيات الأثرية عن طريق الاستنتاج الحسي أو بالحدس . بمعنى آخر وضع فرضية ، جمع معلومات ، وضع ملاحظات دقيقة حولها ، واستنتاج عام لحل مشكلة موضوع البحث . كل هذه الخطوات تشكل أسس النظرية التي يود الأثريون وضعها . لكن في كثير من الحالات وجد أن هذه الطريقة غير دقيقة في تحليل الظواهر .

## مفاهيم نظرية تاريخ الثقافة

ركز في ذلك بالاعتماد على المعلومات المقدمة من قبل المؤرخين القدماء الذين يمكن أن يفسروا الكثير من الأحداث التي ليس بالضرورة ان توجد في السجل الأثاري. ولما يتعلق الامر بمجتمعات ما قبل التاريخ، من دون هذا السجل التاريخي، فيمكن التعامل معها باستخدام النماذج الموضوعية لفترات لاحقة ، الا انه وبسبب تراكم الادلة الأثرية وضح ان تاريخ الثقافة لا يمكن أن تفسر أي شيء من هذا.

أحد الانتقادات التي توجه لهذه النظرية أنها كثيرا ما ركزت على دراسة شعوب العصر الحجري الحديث والفترات اللاحقة ، وتجاهلت الى حد ما الفترات المبكرة من تاريخ البشرية خلال العصر الحجري القديم، تكون الجماعات الثقافية المتميزة والاختلافات بينها أقل ملاحظة في السجل الآثاري.

1

يرى بعض من علماء الآثار أن استخدام المنهج الاستقرائي لا يفيد في حل مشاكل الأبحاث الأثرية المنهجية والبرنامجية ؛ وهؤلاء يعتقدون أن المنهج الاستدلالي هو الأنسب في حل مشاكل هذا النوع من الأبحاث الأثرية . هذا الاعتقاد الرافض للمنهج الاستقرائي في الأبحاث الأثرية المنهجية والبرنامجية ، في رأي عدد آخر من علماء الآثار هو رفض لكل المعطيات والمعلومات التي جمعت في الماضي ونشرت ؛ ويقول هؤلاء أن المنهج الاستقرائي يجب مراعاته في تنفيذ الأبحاث الأثرية المنهجية والبرنامجية ؛ فهم يرون أن استخدام المنهجين معا ، المنهج الاستدلالي والمنهج الاستقرائي في الدراسات الأثرية ، سوف يؤدي إلى إنتاج منهج متناسق ينتج عنه الخروج بافتراضات جديدة ذات أبعاد أكثر خصوصية ، وتعمم هذه الافتراضات وتخضع لاختبارات متوالية

2

## نقد النظرية

الاستقرائي  
(Inductive)

جمع المعلومات التي  
تستخدم لتوليد الفرضية

الأستنتاجي  
(deductive)

تكوين الفرضية مسبقاً  
ويتم التركيز على استخلاص  
الدليل الذي سيساعد على  
تأكيد او نفي الفرضية

## أهم باحثي التاريخ الثقافي في بدايات القرن العشرين:

عالم الآثار الأسترالي فير جوردون تشايلد (Vere Gordon Childe)



كان عالم الآثار الأسترالي فير جوردون تشايلد (Vere Gordon Childe) من أوائل من عملوا على استكشاف وتوسيع نطاق مفهوم العلاقات بين الثقافات وخصوصا في سياق ما قبل التاريخ في أوروبا

يفترض غوردن شايلد في أعماله أن التغيرات في الماضي قد حدثت نتيجة لما اسماه بالثورات (revolutions). وقد كتب شايلد عن ثورة عصر حجري حديث في فترة ما قبل التاريخ والتي أدت إلى قيام وتطور الزراعة ثم ثورة حضرية أدت إلى قيام الثورة الحضرية وقيام أول المدن

كان شايلد من أوائل الآثاريين الذين إهتموا بتلمس المواضيع الشائكة عن لماذا وكيف حدثت الأشياء وتغيرت في الماضي بالرغم من أنه كانت له موهبة عالية في تأليف وتركيب المعطيات ،كما عمل تأسيس التقاويم وتحليل أنواع . ولا تزال كثير من افكار غوردون شايلد تجد التقدير من كثير من الآثاريين

## غوردون شايلد

# غوردون شايلد

الثورة الصناعية

الحضارة  
(الثورة الحضرية)

البربرية  
(ثورة العصر الحجري  
الحديث)

الهمجية

الرأسمالية (تطور صناعي  
ضد التطور الزراعي)

مجتمعات زراعية وتطور  
التقنيات القديمة

الزراعة

الصيد والجمع

التركيب  
الاقتصادي

اعادة تنظيم المجتمعات في  
مدن كبيرة

تنظيم المجتمع في مدن  
وتطور الطبقات

ازدياد السكان والطبقات  
البشرية

جماعات صغيرة العدد

التركيب  
الاجتماعي

مقارنة بين افكار غوردون شايلد والافكار المبكرة في القرن التاسع عشر